المصـــــدر :	الحياة		
التـــاريخ :	02-04-2007	العـــدد :	16068
الصفحـات :	11	المسلسل :	60

امتحان النفوس بعد قمة النصوص!

عرفان نظام الدين *

■ اذا كانت السياسة في شكل عام تعرّف بانها «فن الممكن» فإن القمة العربية في الرياض نجحت في الامتحان، وربما تجاوزته من فن الممكن الى فن تحقيق بعض «المستحيل» الناجم عن تفاقم الأوضاع العربية وتزايد الخلافات وشيوع العديد من الأزمات والفتن، وما رافقها من تازم وقطيعة وجفاء بين العرب خلال السنة الماضية، ولنا في الاتحاد الأوروبي الذي احتفل بمرور ٥٠ عاماً على تاسيسه القدوة والمثال، لعلنا نتعظ ونتعلم ونحكّم العقل والمصالح في حل الخلافات والسمو فوق الحساسيات.

ففي قراءة أولية ومتانية لقرارات القمة والأجواء التي خلفتها يمكن الاطمئنان قليلاً وزرع بذور الأمل في نفوس الشعوب المتعطشة للوحدة والباحثة عن الأمن والأمان. ولولا بعض المنغصات وغياب بعض القادة ومحاولات الشد والجذب وتداعيات الأزمة اللبنانية ومشهد الانقسام المزري المتمثل في وفدين متناحرين لأمكن القول ان النجاح هو الصفة الغالبة لهذه القمة المصيرية لأن الإيجابيات كانت أكبر من السلبيات بكثير ولأن حصاد القرارات والنصوص المرنة والواضحة يبشر بمحصول جيد ولأن المحصلة النهائية ستصب في مصلحة القضايا العربية في شكل عام ومصلحة الشعب الفلسطيني في شكل خاص.

ومع هذا لا بد من التريث في إعطاء «الأحكام النهائية»، فالحذر واجب، والتجارب علمتنا بعد ١٩ قمة عربية أن لا نفرح كثيراً إلا بعد ان نلمس النتائج لمس اليد، وخيبات الأمل من القمم السابقة وقراراتها لا تعد ولا تحصى، فالعبرة في النفوس وليس في النصوص، والمهم ليس إصدار القرارات بالإجماع أو بالاغلبية بل في وضع آلية تنفيذ لها وفق جدول زمني لا تسويف فيه ولا تاخير ولا عرقلة. والآن، بعد ان ارتاحت النفوس وانفض الجمع وتنفس العرب الصعداء وتعددت الآراء والتحليلات حول النصوص ومعانيها وانعكاساتها، ينتظر كل انسان عربي مخلص لأمته إقران القول بالعمل والتحرك لتنفيذ القرارات وتنقية الأجواء العربية وإتمام المصالحات وتحصين الوحدة الوطنية في فلسطين وغيرها والبدء بتحرك فوري لتفعيل القرارات، وأولها مبادرة السلام العربية ووضع العالم كله امام مسؤولياته بعد ان جدد العرب رغبتهم بالسلام ورموا الكرة في الملعب الإسرائيلي.

وبانتظار «امتحان النفوس» والتاكد من حسن النيات وتوفر عوامل الرغبة والعزيمة والإرادة والحزم في التنفيذ والجدية في متابعة المسيرة علينا الغوص في النصوص وتحليل تفاصيلها ومعانيها ورصد النتائج والإيجابيات وتبويب أولوياتها وتحديد خريطة طريقها. من حيث المبدأ، وبكل حذر وترقب، يمكن الميل نحو رجحان كفة التفاؤل في ضوء إنجازات القمة ولو انطلاقاً من بدايات رأب الصدع ووقف النزيف والحد من سرعة الاتجاه نحو حافة الانهيار.

والأهم من كل ذلك هو ان الثوابت العربية بالنسبة الى مختلف القضايا لم تمس بل أعيد التمسك بها من قبل القادة العرب، ولا سيما في موضوع مبادرة السلام العربية التي أقرت في قمة بيروت عام ٢٠٠٢. فهذه المبادرة التي حملت اسم الملك عبدالله بن عبدالعزيز تمثل الإجماع العربي، ومعه الإجماع الفلسطيني، بالنسبة الى أسس السلام ومتطلباته وشروطه، بل هي تمثل الحد الأدنى الذي يصعب التنازل عن أي بند من بنوده ولا سيما في قضايا القدس وعودة اللاجئين وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

وكل ما يمكن بحثه هو اعتبار المبادرة «أساس» عملية التفاوض بحيث يتم إيجاد مخارج للتفاصيل وحلول لعملية التنفيذ لا سيما بالنسبة الى آلية عودة اللاجئين الفلسطينيين وأمكنتها وخياراتها. فالجديد في هذا الشأن هو الاعتراف الإسرائيلي بهذه المبادرة بعد ٥ سنوات من الرفض والتجاهل، والقبول الأميركي بها كأساس للتفاوض بعد ان حاولت إدارة الرئيس بوش إجهاضها عبر مشاريع بديلة و «خريطة طريق» هزيلة وجتراّة بعد تامين تغطية دولية لها تحمل اسم «اللجنة الرباعية».

وهذا يعني ان الطريق اصبح ممهداً لإعادة تفعيل المبادرة واستئناف مسيرة السلام على أسس سليمة ومبادئ واضحة، وذلك ببدء التحرك الفوري باتجاه الأمم المتحدة والولايات المتحدة والعالم لحمل اسرائيل على تكريس اعترافها بها كأساس وحيد للتفاوض، خصوصاً ان الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين والدول الإسلامية تدعمها ولا تجد أي بديل لها وتعتبر تجاهلها بمثابة تدمير للسلام ووضع العالم كله امام مفترق طرق مزروع بالألغام والعنف والدمار وتهديد المصالح الدولية.

فقد فتحت القمة العربية الباب على مصراعيه امام «نهج» السلام ومدت اليد لإنقاذ المنطقة والعالم من خطر داهم وشرور لا حدود لها، بل هي مهدت لمؤتمر سلام دولي، كمؤتمر مدريد أو غيره من المسميات، بالقاء طوق نجاة ليس للعرب والفلسطينيين فحسب، بل لكل الأطراف من اسرائيل الى الولايات المتحدة، ومن أوروبا الى الصين وروسيا والأمم المتحدة بعد ان فشلت الشرعية الدولية فشلاً ذريعاً وألحقت بنفسها الخزي والعار وخيبت آمال الشعوب والأمم.

وهنا ينقسم المحللون الى فريقين الأول يغلب عليه طابع التشاؤم منطلقاً من المعرفة والخبرة بالنيات الصهيونية والانحياز الأميركي والتردد الأوروبي والتخاذل الروسي والصمت الصيني وعدم الجدية العربية في المتابعة والحزم والحسم ووضع البدائل في حال الفشل والاستعداد لكل الاحتمالات وبينها اعداد القوة اللازمة لردع العدو وحمله على التراجع عن غيه وتعنته.

ويستند هؤلاء المتشائمون الى اعتبارات عدة منها التشرذم العربي ومجمل الأوضاع السلبية في العراق ولبنان وهشاشة السلطة الفلسطينية ودخول العالم كله في مرحلة انتقالية يسودها الترقب لمعرفة انعكاسات التغييرات المنتظرة على مجمل القضايا الدولية وقضايا المنطقة. فالرئيس بوش يعاني من حرب العراق وحروب الديموقراطيين عليه وانعكاسات الوضع الاقتصادي، وهو يقف على مشارف نهاية عهده غير الميمون. ورئيس وزراء بريطانيا توني بلير يودع الحكم قريباً، والرئيس الفرنسي جاك شيراك سيودع الرئاسة الشهر المقبل

المصـــــدر : الحياة
التـــاريخ : 02-04-2007 العـــدد : 16068
الصفحـات : 11 المسلسل : 60

بعد الانتخابات الرئاسية، والرئيس الروسي بوتين يقف على مفترق طرق التمديد والاعتزال. اما الحكومة الإسرائيلية برئاسة ايهود اولمرت فهي تترنح وقد تسقط في اي لحظة لتتم بعد ذلك الدعوة الى انتخابات مبكرة قد تحمل الى الحكم صقور إسرائيل من الليكوديين وغيرهم من المتطرفين.

اما فريق التفاؤل فيتخذ من هذه السلبيات منطلقاً للتبشير بحل قريب، ويعتقد ان كل الفرقاء يحتاجون الى «طوق النجاة» المتمثل بالسلام أو بتحقيق إنجاز ما قبل ان يغادر الحكم لعله يسجل نصراً تاريخياً أو يتيح لاسمه ان يسجل في سجلات التاريخ كصانع سلام وليس في سلة المهملات. كما أن الفريق العربي، إذا حسنت النيات، اعاد ترميم نفسه ووحد صفوفه ليخرج من القمة بموقف صريح يلزم العالم بالتحرك لإنقاذ ما يمكن انقاذه قبل فوات الأوان قاطعاً الطريق على اسرائيل والصهيونية العالمية في محاولاتها الخبيثة لإظهار العرب كدعاة حرب وعنف ورفض للسلام.

وبانتظار ردود الفعل لمعرفة مدى الاستجابة للمبادرة العربية الممدودة بصدق تسجّل لقمة الرياض العربية الإنجازات التالية:

- استعادة القرار العربي السليب ومعه الأوراق العربية المخطوفة ولو في شكل جزئي بعد ان حاول البعض وضع قرار المنطقة ومصيرها في يد القوى الإقليمية وهي ايران وتركيا وإسرائيل ومعها الولايات المتحدة والقوى الدولية الأخرى بنسب مختلفة.

- النجاح في تصفية النفوس وإزالة الشوائب وإنهاء بعض الخلافات العربية - العربية، وتعزيز الأمل بإحياء التفاهمات الاستراتيجية والتوازنات السابقة ولا سيما بين مصر والسعودية وسورية.

- دعم المصالحة الفلسطينية وتكريس صلح مكة بين الفلسطينيين والعمل على رفع الحصار عنهم بتأمين غطاء عربي شامل وتأكيد العزم على مواصلة العمل في هذا الاتجاه وإزالة صواعق التفجير الكثيرة والألغام المزروعة في طريقه ولا سيما في مراحله الأولى التي يخشى ان يتسبب أي حدث في نسفه وإعادة مخاطر نشوب حرب أهلية بين «فتح» و «حماس».

- تأكيد الرغبة بتصحيح المسار العراقي والتمسك بوحدة أراضيه واستقلاله والعمل على وقف التدخلات في شؤونه ووأد الفتن المذهبية والطائفية والعرقية وإعادة النظر في الدستور ووقف تهميش السنّة.

- وضع خريطة طريق لحل الأزمة اللبنانية المستعصية وتأكيد المضي في المبادرة العربية المدعومة بتفاهم سعودي - ايراني تمهيداً لرعاية مؤتمر مصالحة ومصارحة لبناني في السعودية وفق مبدأ «لا غالب ولا مغلوب».

- معالجة الملف السوداني في دارفور والجنوب والعمل على إيجاد حل يجنّب السودان مخاطر كبرى.

- معالجة الملف النووي الإيراني بحكمة ومرونة تنسجم مع الدعوة للرضوخ لقرارات الشرعية الدولية وإقناع ايران بوجوب تجنيب المنطقة بأسرها دمار الحروب ومخاطر المواجهة المرتقبة في الأشهر القليلة المقبلة مع التمسك بالموقف العربي الداعي الى جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من الأسلحة النووية مما يعني ان على العالم الكف عن ممارسة سياسة ازدواجية المعايير وإرغام اسرائيل على الالتزام بقرارات الشرعية الدولية في هذا المجال.

هذه الإنجازات وغيرها تبقى رهن «امتحان النفوس» لأن النصوص وحدها لا تكفي، فالمصالحة الفلسطينية هشة وتحتاج الى عناية فائقة والأزمة اللبنانية خطيرة وتحتاج الى ضغوط جدية على كل الأفرقاء حتى إنضاج الحل والوضع العراقي يقف على حافة الانهيار الكامل والانفجار الشامل وهو مثله مثل الوضع اللبناني لن يقتصر لهيب نيرانه على حدود معينة بل سيشمل المنطقة بأسرها لما يحمله من حمم وفتن مذهبية وطائفية وعرقية. كما ان الملف الإيراني ملتهب وقابل للانفجار، ما يستدعي حواراً جدياً بين العرب، كل العرب، وإيران لإقناعها بالعمل على وقف مسيرة الانحدار والتحديات ونزع صواعق التفجير وعدم استخدام الأوراق العربية في حروبها الخارجية مع الاعتراف بحقها في امتلاك التكنولوجيا النووية السلمية.

ومهما قيل عن نتائج قمة الرياض فإن المحصلة النهائية تبشر بالخير خصوصاً ان النبض عاد الى الجسد العربي العليل، وأن السعودية استعادت زمام المبادرة لملء الفراغ نظراً لما تتمتع به من صدقية ووزن وعلاقات دولية وعربية وإسلامية.

أما الحكم النهائي فلا بد من ان ينتظر امتحان النيات وصدقية القادة في الالتزام بالقرارات المتخذة واحترام «النصوص» التي أعدت بدقة وحكمة من دون ان نتخلى عن شعلة الأمل. فالتفاؤل يعود لاعتبارات عدة ابرزها توفر الرغبة والإرادة في وضع آلية تنفيذ القرارات وتأمين الاستمرارية بعهدة الملك عبدالله بن عبدالعزيز بوصفه رئيس القمة العربية لعام قادم، فهو لن يتوانى لحظة واحدة عن تحمل هذه المسؤولية التاريخية التي وضعت على كاهله، وهو أهل لها، ولن يتخلى عن التزاماته في توحيد الصف العربي وحل الأزمات وأولها أزمة لبنان وتفعيل مبادرته، المبادرة العربية للسلام، من خلال خبرته وحكمته وثقة أقرانه وشعبه وأمته به، واي نجاح سيسجل له ولبلاده كما انه في حال تحقيق كل ما تم إنجازه في فلسطين ولبنان والمنطقة ليعم السلام سيكون موضع احترام وتقدير العرب والمسلمين والعالم بأسره وقد يمنحه عن جدارة جائزة نوبل للسلام.

وهذا لن يتحقق إلا بنجاح القادة في امتحان النفوس ودعم جهود رئيس القمة لإطفاء الحرائق وحقن الدماء العربية وإزاحة الهم والغم عن صدور العرب اللذين لازماهم لعقود طويلة.

إنها فرصة أخرى تتاح للعرب... نرجو ان لا تكون الفرصة الأخيرة والا يضيّعوها أو يتساهلوا في استغلالها، والانطلاق في مسيرة المصارحة والمصالحة ورأب الصدع والكف عن ارتكاب الأخطاء والخطايا وتوحيد الصفوف لمواجهة المخاطر وهي اكيدة ومجابهة المؤامرات وهي كثيرة ووأد الفتن وهي مستيقظة ومنع مؤامرات التفتيت وهي جاهزة.

انه امتحان النفوس... وفي ضوء نتائجه يكرم الإنسان العربي أو يهان.

---

* كاتب عربي